الأحد: 2024/04/07

2024/04/14

التوقيت: 11:20 – 12:50

القاعة: 33 في الكلية

المحاضرة رقم 05: تطور فنون النثر:

– قراءة في النوع السردي:

أ– بنية القصة (الجزء الأول)

القصة مثلها مثل الفنون الأخرى فعلية بنائها تبدأ من حدث ما، وهذا الحدث ينشأ من موقف وجد في الحياة التي يعيشها الأفراد وهذا الحدث تتفرع منه أحداثا أخرى يحبكها الكاتب بأسلوب شيق لتصل إلى منعرج تنعقد فيه هذه الأحداث وذلك حين تبلغ الوسط لتخلص في لحظة إلى نهاية الحدث.

ولكن القصة الجديدة اليوم لم تعد تلتزم بهذا القانون الذي يقوم على بداية، وسط، نهاية لأننا إذا ما لا حظنا أن أغلب القصص مأخوذة أو مستمدة أحداثها من الحياة أي من الواقع المعاش، وكذلك يمكن أن تجيئ القصة خبرا أو مجموعة أخبار، وقد تكون رسالة أو يوميات أو أحلام وغيرها من الأشكال بينما للقصة اليوم أشكال جديدة خرجت بجرأة عن الفعل السردي المألوف للقصة.

سنحاول هنا أن ندرس عناصر البناء للقصة، وهي كأي عملية فنية لا يمكن أن تقوم إلاّ على جملة من العناصر التي تعتبر عمادها وبيانها وهي المادة الأساس لبناء أحداثها.

1/ البيئـــــــــــة:

تعتبر البيئة من العناصر المهمة والرئيسية في المنظومة القصصية، فإن لهذا الوجود القصصي الحقيقي عناصر فنية عدة تجعل القصة قطعة من الحياة، وهذه الحياة سواء كانت حقيقية (واقع معاش) أم خيالا (غير واقعية)، وبطبيعة الحال فإن هذه الحياة لا تخلو من الشخوص المجبرين على عيشها كما كانت، وبطبيعة الحال فإنها تحيا في محيط أو وسط أو حيز، وهي مسميات واحدة ترادف البيئة في نهاية المطاف، والبيئة هي الوسط الطبيعي الذي تجري ضمنه الأحداث وتتحرك فيه الشخوص ضمن بيئة مكانية وزمانية تمارس وجودها.

فالبيئة هي الحضن الذي يحتضن جميع العناصر، وتعطي المعنى للقصة التي هي بحاجة إلى ذلك الوعاء الذي يحتضنهما ويجعل منها وحدة عضوية ذاتية غير منقسمة.

فمصطلح البيئة بهذا المعنى مفهوم فكري يتردد في مختلف جوانب الفكر ليعبر عن جملة الظواهر المؤثرة في الفرد يتنوع ليشمل مختلف جوانب الحياة، ويمكن أن نقول إن البيئة القصصية هي الواقع نفسه دون تمويه ولا تزييف بل هي التمثيل الموضوعي للواقع المحلي في مختلف مستوياته اللغوية والاجتماعية والزمانية والمكانية، سواء أكان هذا التمثيل وصفا صادقا أو تصويرا فنيا لا يضع البيئة في الحسبان.

2/ الشخصية (الشخوص):

يختار الكاتب شخوصه القصصية من الحياة عادة، ويحرص على عرضها واضحة في الأبعاد التالية:

1) البعد الجسمي: ويتمثل في الصفات الجسمية من طول وقصر، وبدانة ونحافة وذكر كان أم أنثى وعيوبها وسنها وغيرها من الصفات.

2) البعد الاجتماعي: ويتمثل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية وفي نوع العمل الذي تقوم به وثقافتها ونشاطها وكل ظروفها المؤثرة في حياتها وجنسيتها وهواياتها ودينها.

3) البعد النفسي: ويكون من خلال السلوكات (رغبات وآمال هذه الشخصية) بالإضافة إلى عزيمة وفكر ومزاج الشخصية من انفعال وهدوء وانطواء أو انبساط.

فهذه الشخصية لها مستوى من اللغة والفكر المحدد، وليس من الضروري أن يحرص القاص على إبراز هذه الأبعاد كلها لأن القصة هي فن الفرد، لا فن المجتمع كالرواية، وهي في القصة علاقة محدودة، وربما هي علاقة عابرة، ومن هنا لا تدور أحداثها إلاّ حول شخصية، وتخدم الشخصيات الثانوية دورها الفني.

وهذه الشخصيات ليست حقيقية تماما، ولكنها تشبه الشخصية الحقيقية من حيث المشاعر والانفعالات ومن حيث العلاقات (داخل المجتمع مع الأفراد) ويمكننا القول: إن الشخصيات في قصة ما هي كائنات بشرية أو تبدوا أنها كذلك، فالكاتب يحاول قدر

المستطاع أن يجعل منها واقعية حقيقية إلاّ أنها تنأ عنها وتتحول إلى شخصيات حكائية خيالية لا صلة لها بالواقع، فهي تحاول الفرار من قبضة الكاتب وتعيش حياتها الخاصة متفردة بآرائها وتنزلق لأنها عبارة عن ابتكارات ابتكرها الكاتب ولأنها في النهاية شخصيات حكائية لا حقيقية.

وهناك العديد من القصص التي يكتبها أصحابها بإيراد أسماء ومواقع وأحداث حقيقية وقعت بالفعل في الواقع إلاّ أنها عندما تلج عالم القصة تتلاشى هذه السمات والصفات الحقيقية لهذه الشخصيات، وتغدو نماذج مجازية يحملها صاحبها العديد من السمات، والصفات التي تبعدها كل البعد عن ماضيها وحقيقتها لأن القصة ليست نقلا أمينا للماضي بأفكارها كما هي في الواقع والتاريخ، وإنما هي وسيلة لإحداث المواقف من الأفكار، والشخصية نوعان:

1) **الشخصية البسيـــطة (المسطحة):** وهي شخصية كانت تعرف في القرن السابع عشر بالشخصية الهزلية أو النموذج وأحيانا بالكاريكاتير
2) **الشخصية المغلقة / أو المركبة:** وهي شخصية تبدو قيمتها في قدرتها على الإدهاش والإقناع، فإن لم تدهش فهي مسطحة وإن لم تقنع فهي أيضا مسطحة.

3/ الحبكـــة:

وهي تعني ذروة الأحداث وتأزمها، وذلك قبل اكتشاف الحل الذي لا يعد بالضرورة مرتبطا بالعقدة، حيث قد تأتي بعض النهايات بلا حل، فتسهم بالتالي في إيقاظ مخيلة المتلقي.

والحبكة هي حركة الأحداث المتتابعة من بداية القصة إلى نهايتها، وهي صعود الشخصية سفح القصة وارتقائها قمة الاحداث المعقدة، ثم هبوطها إلى حلّ أو نتيجة هي نسج محكم بين يدي نساج ماهر يشد حبكه جيدا ويحسن تدبيرها وفكها.

في خطواتها المتصاعدة ينتهي الحدث إلى ذروة التأزم، وهي العقدة فتثير في نفس القارئ أقصى درجات التوتر، وفي انحداره وهبوطه يخفف الحدث من حدة التوتر ويبعث في

النفس شيئا من الراحة والانفراج، فالعقدة بهذا المعنى هي لحظة تشابك الأحداث وتأزمها، ولا شك أن في كل عقدة صراعا مؤثرا غير مفتعل.

- **عناصر الحبكة:**

- **البداية:** هي بوابة القصة، يدخل من خلالها القارئ إلى النص لمعرفة الأحداث والشخصيات.
- **النهاية:** فلا تقل أهمية على الأولى لأنها ليست مجرد خاتمة، وإنما هي "لحظة تنوير تحدد معنى الأحداث وتكشف عن دوافعها وحوافزها، وتثير في مخيلة القارئ ما تثير من الصور والمشاعر والانفعالات فلا بد أن تنتهي هذه القصة نهاية محكمة تنهض في بنائها الفني في حل العقدة التي يترقبها القارئ، والنهاية تنقسم إلى نوعان:

أ/ نهاية مغلقة: وهي نهاية تصل إلى حل.

ب/ نهاية مفتوحة: تترك مجال لتصورات القارئ وتخيلاته، يخلص من خلالها إلى نهاية مناسبة تتوافق مع منطق الحياة، ومن هنا يعتبر القارئ مؤلف (ثاني) لهذه القصة، وهكذا تجري معظم القصص الآن.

4/ الحـــدث:

يعتبر من أبرز عناصر القصة وهو محورها، والحدث يتشكل من جملة من الوقائع الجزئية التي ترتبط ببعضها البعض في شكل منظم، وهو الفعل الذي تقوم به الشخصية داخل القصة ومحركها، ويبنى الحدث على عدة طرق:

1) **الطريقة التقليدية:** وفيها يسلك القاص أسلوب التدرج من البداية إلى النهاية.
2) **الطريقة الحديثة:** يتم فيها العرض منذ لحظة التأزم، ثم الرجوع إلى الماضي ليروي البداية وذلك باستخدام أساليب فنية كأسلوب الذكريات
3) **طريقة الارتجاع:** التي يستخدمها الكاتب في روايته للحدث مبتدئا بالنهاية ثم يعود فيروي القصة كلها.

وتطور الحدث لا يعود إلى كيفية وقوعه ومكانه وزمانه بل يمتد ليشمل السبب الكامن وراء وقوعه، وهو ما يفترض على الأديب أو القارئ البحث عن سبب وقوعه.

أما فيما يتعلق بطرق صياغة الحدث، فيمكن استخدام طريقة السرد المباشر الذي يترك للقاص الحرية في تحليل الشخصيات والأحداث بصورة خاصة، علما بأنه يستخدم في هذه الطريقة ضمير الغائب، ومن أهم عناصر الحدث وجود الحبكة التي تعبر عن تسلسل الأحداث وصولا إلى نتيجة قد يتسبب فيها الصراع بنوعيه الداخلي والخارجي، والقصة الحديثة لم تعد حدثا فحسب، وإنما يمكن أيضا أن تدور حول فكرة أو مشهد أو حالة نفسية ما.

5/ اللغة والأسلوب:

هي النسيج الذي يشتمل على السرد والحوار، ويساهم في رسم الشخصيات وتصوير الأحداث وتطويرها، فإذا كان للشعر لغة فإن للقصة لغتها التي تأخذ من النثر قدرته على التعبير والتصوير ومن الشعر طاقته على الإيحاء والإيجاز وكأن القصة تحتل المساحة الفاصلة بين الشعر والنثر، وهي حلقة وصل بين جنسين مختلفين.

والأسلوب اللغوي في القصة يعتمد على اللغة الأدبية النثرية، وهي لغة مكثفة جدا في القصة، ويتخذ الأسلوب أكثر من شكل منه الحوار بشكل قليل نسبيا والسرد الذي يتخلله الوصف.

6/ السرد والحوار:

السرد: هو نقل الأحداث والمواقف من صورتها الواقعة إلى الصورة اللغوية، بحسب توالي أحداث القصة ووقائعها عبر عدة طرق:

ط1: التي يروي فيها القاص ما يحدث للآخرين، وكأنه مؤرخ يسرد الأحداث من الخارج، وهي أكثر الطرق شيوعا وانتشارا لأنها تفسح المجال أمام الكاتب إلى أبعد المدى وتعطيه قدر كبير من الحرية.

ط2: يكتب فيها على لسان المتكلم، حيث يجعل الكاتب من نفسه واحدا من شخوص القصة وهو البطل غالبا، فيروي الأحداث على لسانه.

ط3: وهي التي يعتمد فيها المؤلف على الخطابات والمذكرات اليومية والوثائق المختلفة التي تنتظم لتؤلف أجزاء القصة.

ويعتمد السرد في القصة على الوصف في تصوير الجو العام للقصة، وفي تصوير الشخصيات، لذا يجب أن يصاغ الوصف بلغة أقرب ما تكون إلى لغة الشخصية، لا بلغة الكاتب نفسه.

أما **الحوار**: فهو الكلام الصادر عن الشخصيات أو الحديث بين شخوص القصة وغرضه إما التعبير عن آراء الكاتب التي يضعها على ألسنة شخوصه، وإما تطوير الموضوع للوصول بها إلى النهاية المنشودة من قبل القاص.

وتتميز القصة عن غيرها من الأنواع الأدبية النثرية بعدد من المميزات والخصائص:

– سهولة الألفاظ ووضوحها وبعدها عن الزخرفة اللفظية والمحسنات البديعية.

– تكتب باللغة العربية الفصحى لتستوعب اللهجات العربية المتعددة مما يسهم في انتشارها.

– حجمها الصغير ولغتها السهلة كانت سببا في انتشارها على المستوى العالمي.

– القابلية للاعتماد على الرواية السردية أو الحوارية تبعا لما تفتضيه من مضمون وشخوص.

– الإيجاز الذي تتخلله بعض التفاصيل الصغيرة التي من شأنها أن تضفي على الشخصيات طابع الواقعية.

– خاصية التشويق والتي تعتبر الدافع الأساسي الذي يحث القارئ على قراءة القصة.

– تجنب استخدام التشبيه الأدبي والفني الذي قد يخرج القصة عن واقعيتها.

– المراوحة بين ضمائر الخطاب والتكلم والغياب.

– الوصف الدقيق للبيئة وللشخصيات مما يجعل الأمر جلي وكأنه يرى الشخصيات ويتفاعل معها.

– اطلاق العنان للخيال.

قائمة المصادر والمراجع:

1) خليل إبراهيم أبو دياب، دراسات في فن القص، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط2001،1م.

2) رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.

3) السعيد الورقي، اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر، د ط، دار المعرفية الجامعية، د ت.

عزيزة مريدن، القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، ط1، 1980 م.

4) شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة القصيرة المعاصرة، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 1998م.

5) عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

6) محمد زغلول سالم، مدارات القصة العربية – أصولها واتجاهاتها ، وأعالمها، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، (دط)، (دت).

7) محمد يوسم نجم، فن القصة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.